

معنى قوله: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ

..... قال بعض العلماء: يسألون مع اليأس، وقال بعضهم: لهم طمع لشدة ما هم فيه؛ فأجابهم المؤمنون في الجنة قالوا: { إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا } ؛ أي الشئيين اللذين سألتما وهما الماء وما رزقنا الله من نعيمه غير الماء { حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ } . وألّحريم هنا تحريم كوني قدري أي منعها من الكافرين؛ لأنّ التحريم يطلق في القرآن وفي لغة العرب على التحريم الشرعي وعلى التحريم بمعنى المنع. وليس المراد هنا أنها شرعا محرمان ولكنه تحريم قدري، وأنّ الله منع من الكافرين منعاً باتاً بقدره وقضائه. ونظيره من التحريم بالمعنى القدري لا بالمعنى الشرعي قوله: { قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً } وقوله جل وعلا: { وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ } ؛ لأنّ الرضيع لا يؤخذ بالتحريم الشرعي حتى يكون عليه حرام أو حلال والمعنى منعها منهما. { وَحَرَامٌ عَلَى قَرْبَةٍ أَهْلُكُنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ } ومن التحريم في معنى المنع كونا وقدرًا. والتحريم بمعنى المنع معروف في كلام العرب مشهور في لغتهم التي نزل بها القرآن، منه قول الشاعر: حرام على عيني أن تطعما الكرى وأن ترقا حتى ألقىك يا هند فمعنى: حرام على عيني أن تطعما الكرى ممنوعتان من ذوق النعاس والنوم. ونظيره قول امرئ القيس ... : قد جاءت لتصرعني فقلت لها اقصري إني امرؤ صرعي عليك حرام أي لا تقدرين علي. ومعنى { إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ } { حَكَمَ بِمَنْعِهِمَا مِنْهَا حَكْمًا بَاتًا } كما قال جل وعلا عن عيسى ابن مريم { إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ } وكذلك الكفار كما أن الجنة حرام عليهم فما فيها من الماء والرزق والنعيم حرام عليهم لا يذوقونه أبداً، وهذا معنى قوله: { إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ } .